مُناجاة الهلال

للأستاذ محمود غنيم

ماذا وراءكَ ، مرحباً بك عاما ؟ رحماكَ إن الكون فى الدّم عاما
لم أدر حين بدا هلالُك أحدباً أحملتَ غُصناً أم شهرتَ حساما ؟
وجه البسيطة عابسٌ متجهّمٌ فاجعل هلالك ثغره البسّاما
جفّفْ دم الدنيا وكفكفْ دمعها وانشر عليها رحمةً وسلاما

* * *

ما بال ظهرك يا هلال مقوّسا أحملت أعباء السنينَ جِساما ؟
أصبحت فى زِيّ الكهول فهل تُرى قد شبتَ مثلهمو وكنت غلاما ؟
مابال وجهك شاحباً يا ابن الدجى أفنيتَ مثلى فى الملاح غراما ؟
أم بتَّ تخشي الحربَ أن ترقى إلى أفق السماء فتلحقَ الأجراما ؟
فى الجو طير كالحمام محلّقٌ لكنه إن طار كان حِماما
فاحذر فإن الحرب منك قريبة والجوّ يمطر يا هلال سهاما
وانصح خيالك فى البحار وقل له: أوصيك ألا تقربَ الألغاما

* * *

العالم العُلوىُّ سر غامضٌ فاكشف لأهل الأرض عنه لثاما
هل ثَمّ أغراض وثَمّ مطامعٌ تُجرى الدماء به وتَبْرى الهاما ؟
أهناك خَلْقٌ مثلُنا يقضى كما نقضى الحياة تطاحناً وخصاما ؟
زعموك مسكوناً ، وليتك بلقعٌ إن كنت تأوى يا هلال أناما
زعموك مسكوناً كأمك ليتها كانت عشية أنجبتك عُقاما

* * *

قاد الممالكَ معشرٌ متسلّطٌ هَدَمَ السكينةَ حائطاً ودِعاما
فتشتُ فى عصر الضياء فلم أجد إلا شعوباً تشبه الأنعاما
أم تسبّح باسم أفرادٍ ، كما كانت قديماً تعبد الأصناما
كم أمةٍ إن يهتدِ الفرد اهتدت وتهيمُ فى الظلمات إن هو هاما
هذا زمان الفرد ليس يبارح هيهات ما دام السَّوادُ سَواما

* * *

قل للهلال إلام تسرى فى الدجى ؟ يا ابن السبيل أما نويت مُقاما
ساقتك كفُّ ساقت الدنيا فهل تدرى علام تسوقها وإلاما ؟
حتّام تُدلج فى الظلام كعاشق يخشى الرقيب ويتقى اللواما ؟
أتبيت فى جنح الظلام موكلاً بالكون تحرسه إذا هو نام ؟
هم شبهوك بمِنْجَل من فضة ماذا حصدت ، أتحصد الأياما ؟
يرد الأنامُ عليك أنت معمَّر وهمو يزورون الحياة لماما
يا رُب قوم ألهُوك فأومئوا لك بالتحيــة سجداً وقياما
أتت القرون عليك وهى عذيدة وأراك طفلاً ما بلغت فطاما

* * *

يا ابن الدجى حدِّث أعرك مسامعى فلأنت أصدقُ من «حذام» كلاما
أشهدتَ مجد الشرق فى ريعانه وسناه إذ كان الوجود ظلاما ؟
أشهدت رسْل الله تذرع أرضَه تتلو الشرائع فيه والأحكاما ؟
أشهدت عيسى والكليم كليهما يتلقيان الوحى والإلهاما ؟
أشهدت أحمد يوم هاجر أحمدٌ يطوى الضلال وينشر الإسلاما ؟
إذ جاء يحمل فى اليمين هداية للعالمين وفى الشمال حساما
فغزا بشرعتــه الضمائر قبلما يغزو بحدّ حسامه الأجساما
كانت مبادئه القويمة فيلقاً يغــزو به الأفكار والأفهاما
فإذا بتيجان الملوك وإن علت أقدارهم من حوله تترامى

* * *